عقيدة التوحيد في شعر زيد بن عمرو

الدكتور أبوبكر*

Abstract

Polytheism, heathenism and idolatry had prevailed throughout the Arabian Peninsula in the pre-Islamic period, however, there were some people who, during the period of Jahiliyyah, were seen to have rejected idolatry and retained some or all of the tenets of the religion of Abraham which was "submission to God" in its purest form. They are called "ḥunafā' " in the history of Islam. One of the most prominent of these ḥunafā' was Zaid bin Amr bin Nufail - an orator, versatile poet, staunch preacher of monotheism, and the great leader of the hunafaa of his time. Zaid bin Amr bin Nufail is a remarkable figure in the history of Islam and has a story of great struggle in search of truth and pure faith. Aside from being a monotheist before the arrival of Islam, he used to guide people to what pleased Allah based on intuition and fitrah (natural disposition). This article highlights the effects of monotheism on his thought and traces the various dimensions of his faith in Allah Almighty and tenets of Prophet Ibrahim in the light of his poetry.

قد سادت الوثنية وعبادة الأصنام في جميع أنحاء جزيرة العرب قبل الإسلام ولكن نجد بعض الرجال في العصر الجاهلي الذين رفضوا عبادة الأوثان و الأصنام وتركوا ما عليه قومهم من الشرك و الوثنية ، وراحوا يبحثون عن الدين الحق، وكانوا يتطلعون نحو الحق. و لذا وجدنا بعضهم يعتنق النصرانية، وبعضهم يتمسك ببقايا دين إبراهيم عليه السلام،وسمّي هؤلاء الناس "الحنفاء". و من اليسير أن نذكر عددهم الحتمي، وقد رتّب الدكتور جواد علي قائمة بأسماء "الحنفاء" فذكر منهم: قس ابن ساعدة الأيادي، و زيد بن عمرو بن نفيل، و أمية بن أبي الصلت، و أرباب بن رئاب، وسويد بن عامر المصطلقي، و أسعد أبو كرب الحميري، و وكيع بن سلمة الأيادي، و عمير بن جندب الجهمي، و عدى بن العبادي، و أبو قيس صرمة بن أبي أنس، و سيف بن ذي يزن، و ورقة بن نوفل، و زهير بن أبي سلمى، و خالد بن سنان العبسي، و عبد الله القضاعي، و عبيد بن الأبرص، و كعب بن لؤي بن غالب[1]. وكان زيد بن عمرو أبرز هؤلاء الحنفاء، و كان خطيبا مفوها و شاعرا نحريرا و داعية التوحيد و إمام الحنفاء في عصره.

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي[2]. وكان الخطاب (والد عمر بن الخطاب رضي الله عته) عمه، وأخاه لأمه، وذلك لأن عمرو بن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه (كما كان متعارفا عند العرب في العصر الجاهلي)[3]، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب. وكان له ابن هو سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرة بالجنة ومن السابقين الأولين[4] و بنته عاتكة صحابية شاعرة من المهاجرات إلى المدينة وكانت حسناء جميلة ذات خلق بارع تزوجها عبد الله بن أبي بكر (الصديق) رضي الله عنهما[5].

كان زيد بن عمرو من أشراف قومه و أعيانهم ومقدميهم. ولد في قريش ونشأ بها وترعرع، وكانت داره في وسط مكة قرب الصفا[6].

---

* الأستاذ المساعد، القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور

جهود زيد في سبيل البحث عن التوحيد:

واعتزال زيد للأوثان ومفارقته للأديان هو في الحقيقة نتاج رحلة طويلة ومسيرة شاقة ينتقل فيها طالب الحق من قرية إلى قرية. إن زيد بن عمرو انطلق من مكة إلى يثرب، ثم توجه إلى أيله (فلسطين)، ثم إلى الشام والعراق في سبيل البحث عن الدين الحق وعقيدة التوحيد.

وروى الإمام الحاكم عن زيد بن حارثة رضي الله عنه، قال: إن زيد بن عمرو قال: فخرجت أبتغي هذا الدين حتى قدمت على أحبار يثرب فوجدتهم يعبدون اللهو يشركون به فقلت: ماهذا بالدين الذي أبتغي، فخرجت حتى أقدم على أحبار أيلة (فلسطين)، فوجدتهم يعبدون اللهو يشركون به فقلت: ماهذا بالدين الذي أبتغي، فقال لي حبر من أحبار الشام: إنك تسأل عن دين ما نعلم أحدا يعبد الله به إلا شيخا بالجزيرة (العراق). فخرجت حتى قدمت إليه، فأخبرته الذي خرجت له، فقال: إن كل من رأيته في ضلالة، إنك تسأل عن دين هو دين الله و دين ملائكته[7]. وروى الإمام البخاري في الصحيح: " أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لاَ تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَا أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبَكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلاَ مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَا أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ "[8].

وروى الطبراني من حديث سعيد بن زيد، أنه قال: "خرج زيد بن عمرو وورقة بن نوفل يطلبان الدين (يبحثان عن الدين الصحيح قبل البعثة) حتى أتيا الشام، فتنصر ورقة، وامتنع زيد، فأتى الموصل، فلقي راهباً، فعرض عليه النصرانية، فامتنع"[9].

وكان يقول: "إلهي إله إبراهيم، ودِيني دين إبراهيم"[10] وكان يقول لقريش: "ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري"[11]. وكان قد ترك عبادة الأوثان، وترك أكل ما يذبح عن النصب. وفي رواية ابن إسحاق أنه كان يقول: "اللهم لو أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به"[12].

وقد سأل سعيد بن زيد وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد، فقال: غفر الله له ورحمه، فإنه مات على دين إبراهيم[13]. وقد روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سئل عن زيد، فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده بيني وبين عيسى ابن مريم[14].

وروى الإمام البخاري حديث أسماء بنتِ أبي بكر رضي اللَّه عنهما، قالت: " رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ

أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ، لاَ تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا"[15].

تشرّفه بزيارة الرسول:

إنه ثابت من الروايات بأن زيدا لقي رسول الله قبل البعثة، و أنه خرج إلى مكة من الشام يريد زيارة الرسول بعد بعثته ولكن قُتل في طريقه إلى مكة، كما جاء في رواية عروة التابعي. وعن عروة قال: "بلغنا أن زيداً كان بالشام، فبلغه مخرج النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأقبل يريده، فقتل بمضيعة من أرض البلقاء"[16].

و الرواية الأخرى تدل على تشرّفه بزيارة الرسول قبل البعثة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَح، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ"[17].

وفاته و مدفنه:

قد خافت قريش من زيد أن يؤثر على شبابها و أن يستميلهم إلى الحنيفية، فمنعوه من التحرك بحرية داخل مكة[18]. و قد تولي هذه المهمة عمه الخطاب بن نفيل، فإنه لم يزل يؤذي زيد بن عمرو حتى خرج عنه إلى أعلى مكة، فنزل حراء، مقابل مكة. ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش و سفهاء من سفهائهم، فقال: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سراً منهم، فإذا علموا بذالك آذنوا به الخطاب، فأخرجوه و آذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم، و أن يتابعه أحد منهم على فراقهم. وقد عاش زيد بن عمرو غريبا في نهاية عمره هاربا بدينه، فكان لا يستطيع أن يدخل في مكة إلا خائفا يترقب[19].

وتتضارب الروايات حول المكان والزمان لوفاته ومدفنه، وهناك روايات عديدة فيه، فمنها:

وروى ابن سعد في الطبقات (بواسطة الواقدي) عن زكريا بن يحيى السعيدي عن أبيه، قال: مات زيد بن عمرو فدُفن بأصل الحراء[20]. و في الرواية أنه كان في الشام عندما أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يريده، فقتله أهل ميفعة[21]. وروي أيضا عن سعيد بن المسيب، فقال: توفي زيد بن عمرو وقريش تبني الكعبة قبل نزول الوحي على الرسول بخمس سنين[22]. وقد رثى ورقة بن نوفل زيد بن عمرو، سنذكرها في الصفحات القادمة.

شعره في عقيدة التوحيد:

كانت للشعر و الشاعر مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة وقيمة سامية في مجتمع العرب قبل الإسلام، كما قال ابن سلام الجمحي: "وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به، يأخذون به وإليه يصيرون"[23]. ولما كان الشعر مفخر العرب وديوان أيامهم، فقد راح زيد يضمن قوافي شعره عقيدة الحنفاء ليسهل تناولها ويسرع انتشارها.

إنه من المؤسف أن ما وصلنا من شعر زيد بن عمرو لا يفي بكثير مما عرف من آثار هذه الفكرة الحنيفية وبقاياها في العصر الجاهلي ولعل ما نال الكثير من أدب الجاهليين من الضياع على ما قال أبو عمرو بن العلاء في عبارته المشهورة: "وما أتاكم مما قالته العرب إلا أقله ولو أتاكم كاملا لأتاكم علم وشعر كثير"[24]. وكان لأدب الحنفاء منه أكبر الحظ وأوفر النصيب، خاصة وأننا نعلم أن هؤلاء الرجال كانوا قلة من جهة، وقد شغلهم البحث عن الدين بكثرة التنقلات وقطع الأسفار البعيدة عن التفرغ لاعطاء الناس فكرة عما يريدونه وما ينبغي أن تكون عليه الحياة في قالب فني يشتهرون به ويذاع بين الناس وأن وصلنا شيء من ذالك رغم هذه الظروف.

وقد قال زيد بن عمرو بن نفيل أشعاراً في مجانبة الأوثان، وكان يدعو كفار قريش إلى التوحيد، وقد فارق قومه، واتبع ملة إبراهيم، وينتظر نبياً من ولد إسماعيل، (قال المسعودي: بلغني أن زيدا كان يقول: لئن أدركت ولأنصرنه نصرا مؤزرا؛ يعني: النبي عليه السلام)[25]، ولكن شاء الله وقدر أن يموت قبل ذلك. وإذا نظرنا إلى أبيات زيد فتبين لنا عمق ايمانه بالله واعتقاد وجوده، ونعته بصفات العظمة والخلد وتنزيهه عن أن يعبد معه آلهة أخرى، اذ هو أهل العبادة والتقرب من غير شريك والأعمال خالصة له. إن الله عنده ليس كمثله شيء مهما كان، ويقول زيد: والله أسلمت له الأرض بما فيها من صخور عظيمه، وهو الذي مد الأرض ثم أرسى عليها الجبال، كما أن الله هو الذي يطيعه السحاب ويسير بأمره مسلمة له أني يأمرها أن تصب ماءها أطاعت له، كما يقول زيد بن عمرو:

وأسلمتُ وجهيَ لِمَنْ أسلمتْ	لهُ الأرضُ تحملُ صخراً ثقالا
دحاها فلمّا استوتْ شدّها	سواء وأرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهيَ لِمَنْ أسلمتْ	له المزنُ تحملُ عذباً زلالا
إذا هيَ سِيقَتْ إلى بلدةٍ	أطاعتْ فصبّتْ عليها سجالا
وأسلمتُ وجهيَ لِمَنْ أسلمتْ	لهُ الريحُ تصرفُ حالاً فحالا[26]

قد استخدم زيد أسلوب الدعوة مخاطب العقول في شعره داعيا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن الشرك. وكان يقول لكفار قريش: "الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، واعجباً لكم، الله أنزل لها من السماء، والماء والكلأ أنبته لها، وخلقها ثم تذبحونها على اسم هبل، واسم اللات، واسم العزى، واسم مناة، تذبحون هذه الشاة على أسماء الأوثان"[27]. ويورد ابن هشام في سيرته أبياتا لزيد يظهر فيها بطريقة التهكم على قومه بإيراده عليهم أسئلة ضمنها قصيدته فيستفهم منهم على وجه الانكار من الأولى في الخضوع والانقياد أهو الله الواحد القهار أم لهذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم؟ ثم يذكّرهم بقدرة الله تعالى عليهم وما هم صائرون إليه، ويقول زيد:

أربٌّ و احدٌأمْ ألفُ ربٍّ	أدينُ إذا تقسّمتِ الأمورُ
عزلتُ اللاتَ والعزّى جميعاً	كذلَك يفعلُ الجلدُ الصبورُ
فلا العزّى أدينُ ولا ابنتَيها	ولا صنمَيْ بني عَمْرو أزورُ

ولا غنماً أدينُ و كانَ ربّاً لنا في الدّهرِ إذْ حلميْ يسيرُ
عجبتُ وفي الليالي معجباتٌ و في الأيّامِ يعرفُها البصيرُ
بأنّ اللهَ قدْ أفنى رجالاً كثيراً كانَ شأنَهمُ الفجورُ
و أبقى آخرينَ ببرّ قومٍ فيربلُ منهمُ الطفلُ الصغيرُ
و بينا المرءُ يعثرُ ثاب يوماً كمايتروّحُ الغصنُ النضيرُ
و لكنْ أعبدُ الرحمنَ ربّي ليغفرَ ذنبيَ الربّ الغفورُ
فتقوى الله ربّكمُ احفظوها متى ماتحفظوها لاتبوروا
ترى الأبرارَ دارُهمُ جنانٌ و للكفّارِ حاميةٌ سعيرُ
وخزيٌ في الحياةِ وإنْ يموتوا يلاقوا ماتضيقُ بهِ الصدورُ[28]

وقدتعبدت العرب للعزى رمزًا الكوكب الزهرة- الإله الابن أو الإلهة البنت- وكانت قريش قدتعبدت العزى، وقد اختُلِف، أهي صنم، أم أنّها شجرات لكنّها كانت أعظم الأصنام عند قريش، و إن قريشا كانت تطوف بالكعبة، وتقول: "اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى". وكانت العزى سمرة لغطفان يعبدونها، وكانوا ابنوا عليها بيتا، وأقاموا لها سدنة، وقدعرِف البيت بكعبة غطفان. ومهما يكن من أمر حقيقة العزى، فإنها كانت صنما في بيت كانوا ينحرون له، و يتعبدون عنده، ويظهر أنه كان بالبيت شجيرات مقدسة هي الأخرى أيضا. وكانت قريش تخص العزى دون غيرها بالزيارة والهدية، وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش للعزى، وكانت الأوس والخزرج تخصان مناة، كخاصة هؤلاء الآخرين، وكلهم كان معظّم لها- يعني: العزى[29]. ويتبرّأ زيد من تلك الآلهة الباطلة ويدعو إلي الإله الحقيقي الواحد هو الرب الغفور يغفر ذنبه.

ويورد ابن كثير الأبيات المذكورة أعلاها باختلافٍ في الترتيب، واستبدالٍ للاّت والعزّى بالجنّ والجنان، وصنمَي بني عمروٍ، بصنمَي بني طسَم، و(يربل) بِ(يربو):

عزلتُ الجنّ والجنانَ عنّي كذلَك يفعلُ الجلدُ الصبورُ
فلا العزى أدينُ ولا ابنتيها ولا صنمَيْ بني طسمٍ أديرُ
ولا غنماً أدينُ وكانَ ربّاً لنافي الدّهرِ إذْ حلمي صغيرُ
أربّاً واحداً أم ألفَ ربٍّ أدينُ إذا تقسّمتِ الأمورُ
أ لمْ تعلمْ بأنّ اللهَ أفنى رجالاً كانَ شأنَهمُ الفجورُ
و أبقى آخرينَ ببرّ قومٍ فيربو منهمُ الطفلُ الصغيرُ
وبينا المرءُ يعثرُ ثابَ يوماً كما يتروّحُ الغصنُ النضيرُ[30]

إن زيدا يتفتح عينه على آفاق بعيدة في عالمه ويسترعي انتباهه ويسيطر على مشاعره آيات الكون العجيب، وما أكثر هذه الآيات، فالسماء بارتفاعها، والنجوم المتلألئة تزينها، والشمس بنورها وحرارتها والقمر بضيائه وتدرجه في

منازله، والأرض بجبالها وكثرة نباتها وحيوانها، وما فيها من الأنهار وشاسع البحار، ويرى المرء كل ذلك، ويشعر بعظمة الخلق في هذه الكائنات، ويتراءى له سر الابداع في هذا العالم، رغم كل هذه الفخامة وازدحام هذه الكائنات، فيدرك من وراء ذالك القدرة التي أوجدت هذا العالم وأحكمت ما فيه من تلك الكائنات والمخلوقات. وينوع زيد بن عمرو محتوى شعره من خلال تنوع أسلوب العرض ليكون أكثر تشويقا وأسهل تناولا عن طريق تضمين شعره المواعظ والحكم وقصص الأنبياء وما حصل مع أقوامهم التي سمعها من أهل الكتاب. وهذه القصص الموضوع الرئيس الذي سيقت من أجله ألا وهو توحيد الخالق سبحانه ونفي الشرك عنه، ويقول زيد بن عمرو:

إلى اللهِ أهدي مدحتي و ثنائيا وقولا رضيا لايني الدهر باقيا
إلى الملكِ الاعلى الذي ليس فوقَهُ إليهِ ولا ربّ يكونُ مدانيا
ألا أيّها الانسانُ إيّاك و الردى فإنَّك لاتخفى منَ اللهِ خافيا
و إيّاك لا تجعلُ معَ اللهِ غيرَهُ فإنَّ سبيلَ الرّشدِ أصبحَ باديا
حنانيَك إنَّ الجنَّ كانت رجاءَهم وأنتَ إلهي ربّنا ورجائيا
رضيتُ بَك أللّهمَّ ربّاً فلنْ أرى أدينُ إلهاً غيرَك اللهُ ثانيا
وأنتَ الذي منْ فضلِ مَنٍّ ورحمةٍ بعثتَ إلى موسى رسولاً منادیا
فقلتَ لهُ إذهبْ و هرونَ فادعوا إلى الله فرعونَ الذي كان طاغيا
وقولا لهُ آأنتَ سوّيتَ هذهِ بلا وتدٍ حتّى اطمأنّتْ كماهيا
وقولا لهُ أنتَ رفعتَ هذهِ بلا عمدٍ ارفقْ إذاً بَك بانيا
وقولا لهُ آأنتَ سوّيتَ وسطَها منيراً إذا ما جنّهُ الليلُ هاديا
وقولا لهُ مَنْ يُرسلُ الشمسَ غدوةً فيصبح ما مسّتْ منَ الارضِ ضاحيا
وقولا لهُ منْ ينبتُ الحبَّ في الثرى فيصبحُ منهُ البقلُ يهتزُّ رابيا
ويخرجُ منهُ حبّهُ في رؤوسهِ وفي ذٰلك آياتٌ لمنْ كانَ واعيا
وإنّيَ لو سبّحتُ باسمَك ربّنا لأكثر إلاّ ما غفرتَ خطائيا
فربّ العبادِ ألقِ سيباً و رحمةً عليّ و بارُك في بَنيّ ومالیا[31]

نجد زيدا كان يتوجه في صلوته ويروى إلى الكعبة، أنه كان يقول:

لبيك حقا حقا تعبدا و رقا
البر أبغي لا أنحال فهل مهجر كمن قال

ثم يقول:

عذت بما عاذ به ابراهيم ستقبل الكعبة و هو قائم
يقول أنفي لك عان راغم مهما تجشعني فإني جاشم

ثم يخر فيسجد[32].

و يؤكد زيد في الأبيات أنه يؤمن برب واحد و لا يعبد الأصنام و أنه رضي بالله ربا، و أن الإشراك بالله و جعل إله معه آخر هو ضلال عن الطريق. و قد رثى ورقة بن نوفل زيد بن عمرو بن نفيل، و روى ابن هشام قصيدته في سيرته و فيها ما يدل على إيمانه بالقضاء و القدر و البعث و الحساب، فيقول ورقة بن نوفل يرثيه:

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا تَجَنَّبْتَ تَنُّورًا مِنَ النَّارِ حَامِيَا
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبٌّ كَمِثْلِهِ وَتَرْكِكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِي كَمَاهِيَا
وَإِدْرَاكِكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ وَلَمْ تُكَ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيَا
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارٍ كَرِيمٍ مُقَامُهَا تُعَلَّلُ فِيهَا بِالكَرَامَةِ لَاهِيَا
تُلَاقِي خَلِيلَ اللهِ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى النَّارِ هَاوِيَا
وَقَدْ تُدْرِكُ الإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِيَا[33]

وبجملة القول نجد إشارات إيمانية واضحة في شعر زيد بن عمرو تشهد تارة بعبادته و اعترافه بالله و تارة تشهد بتوحيده له في الذات و الصفات. و يمكن لنا أن نحصر الإشارات الإيمانية في شعره كما تلي:

تلي:

- تشير إشارة صريحة إلى ذات الله سبحانه و تعالى بصفاته الكاملة و تصدّق لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[34]
- يخصّص زيد العبادة لله تعالى و يرفض عبادة الأصنام و الأوثان و يستهزئ بها و ينتصر للإله الواحد.
- يعترف بالخالق المالك و الرزاق و صاحب الموت القاهر.
- يذكر الحساب و العقاب و البعث في يوم الدين و يؤمن أن يقوم يوم الساعة و يدخل الله الأبرار في الجنّة و الأشرار في الجهنم.
- يذكر قصص الأنبياء و الرسل بما يتناسب مع تدعيم الإيمان.
- يؤمن بالقضاء و القدر.
- يتمسك بالأخلاق و الحياة الكريمة التي لا عبث فيها و لا فسوق.
- يشير إلى الطبيعة و ما تحويه من عظمة الخالق و يبيّن أن اتقان صنع الكائنات و تناسقها يدل على عظمة الخالق و حكمته و قدرته.

الهوامش والمصادر والمراجع

1- جواد علي، الدكتور: تاريخ العرب قبل الإسلام، نشرت جامعة بغداد، العراق، ط 2، 1413ه، 370/5

2- ابن الأثير الجذري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه، 368/2
3- ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 284/4
4- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405ه، 128/1
5- ابن عبد البر :الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، 1412ه، 1880/4
6- المكي، ابن العباس: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دار حضر، بيروت، ط 2، 1414ه، 333/3
7- الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411ه، 238/3
8- صحيح البخاري، رقم الحديث- 3827
9- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير،مكتبة ابن تيمية، رقم الحديث-350
10- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت،324/7
11- صحيح البخاري، رقم الحديث- 3828
12- =ابن اسحق، محمد بن يسار المطلبي:السير والمغازي، التحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، 1424ه ، 96/2
= العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري، دار المعرفة،بيروت، 1379ه، 145/7
13- العسقلاني، ابن حجر:فتح الباري، 143/7
14- =النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة، بيروت،1421ه، رقم الحديث- 8131، =الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، 483/4
15- صحيح البخاري، رقم الحديث- 3828
16- العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري: 143/7
17- صحيح البخاري، رقم الحديث- 3826
18- ابن اسحق، محمد بن يسار المطلبي:السير والمغازي ،التحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، 1424ه، 164/1
19- المرجع السابق 163/1
20- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ، 381/3
21- ابن هشام:السيرة النبوية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1375ه، 214/1
22- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ، 382/3
23- الجمحي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1/ 24
24- المرجع السابق، 25/1

25- الطيالسي،أبو داؤد بن الجارود البصري: مسند ابي داؤد الطيالسي ،دار هجر، مصر، 1419ه، رقم الحديث- 231
26- ابن هشام:السيرة النبوية، 229/1
27- راجع: صحيح البخاري، رقم الحديث- 3826
28- ابن هشام:السيرة النبوية، 205-204/1
29- النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، دار الأقصى، مصر،1996م، ص-141
30- ابن كثير:البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1408ه، 243-242/2
31- ابن هشام:السيرة النبوية، 227/1
32- المرجع السابق 230/1
33- المرجع السابق 232/1
34- سورة الشورى: الآية- 11